علمه وذكاؤه

فطنة أبي بكر

قلنا إن يقين أبي بكر وتأسِّيه بالنبي ﷺ لم يكن تقليداً أعمى ، أو التزاماً حرفياً دون بصيرة فلم تكن منزلة الصديقية التي بلغها أبو بكر نتيجة التدبُّر والأخذ في الأسباب فحسب بل إنهما من لوازم هذه المنزلة.

يقول العقاد عن فطنة أبي بكر " وعلى هذا الحظ الوافر من المزايا الخلقية كان له قسط محمود من المزايا العقلية التي يمتاز بها ذوو الأقدار من أهل زمانه ، فقيل فيه وفي صاحبه أبي عبيدة : إنهما " داهيتا العرب " ، وأُثِر عنه أنه كان أسرع الناس إلى الفطنة لما يوحي به النبي بالتلميح دون تصريح . "

بما استدل العلماء على أن أبا بكر أعلم الصحابة

ومما جاء في الحديث الشريف عن علمه وفطنته أنه ﷺ قال : " رأَيْتُ كَأَنِّي أُعْطِيتُ عُسًّا مَمْلوءًا لَبَنًا ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ حتى ملئتُ ، فَرأَيْتُها تَجري في عُرُوقِي بين الجِلْدِ واللَّحْمِ ، فَفَضَلَتْ مِنْها فَضْلَةٌ فَأَعْطَيْتُها أبا بكرٍ . قالوا : يا رسولَ اللهِ ! هذا العلمُ أَعْطَاكَهُ اللهُ حتى إذا تَمَلأْتَ مِنْهُ فَضَلَتْ فَضْلَةٌ ؛ فَأعطيْتَها أبا بكرٍ ، فقال النبِيُّ ﷺ: قد أَصَبْتُمْ "

[صحيح ابن حبان]

واستدلَّ العلماء على عِظَم علم أبي بكر بموقفه في الردة فعن أَبي هريرة قَالَ : لَمَّا تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ ،

فَقال عُمَرُ : كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رسولُ الله ﷺ : " أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولوُا لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إلاَّ بِحَقِّهِ ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله " فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بين الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ ، فَإنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ . وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤدُّونَهُ إلَى رسولِ الله ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ . قَالَ عُمَرُ : فَوَاللهِ مَا هُوَ إلاَّ أنْ رَأيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبي بَكْرٍ لِلقِتَالِ ، فَعَرَفْتُ أنَّهُ الحَقُّ "
[متفقٌ عَلَيْهِ]

فالصحابة وعلى رأسهم عمر وقفوا عند حديث النبي ﷺ عند ظاهر لفظه وهو عدم قتال من شهد الشهادتين إلا أبا بكر فقد رأى أن من تمام إسلام العبد أن يؤدي زكاة ماله للفقراء كما يؤدي الصلاة لله ، وعندما تدبر الصحابة كلام أبي بكر تبين لهم أنه كان أعمق منهم فهماً لدين الله تعالى ومقاصده العليا فأقروه عليه .

وعن عبد الله بن مسعود قال : خَطَبَ النَّبيُّ ﷺ فَقال: إنَّ اللهَ خيَّر عَبدًا بينَ الدُّنيا وبَين ما عِندَه، فاخْتار ما عِندَ اللهِ. فَبَكى أبو بكرٍ ، فقُلتُ في نَفسي: ما يُبكي هَذا الشَّيخَ إنْ يَكُنِ اللهُ خيَّر عَبدًا بينَ الدُّنيا وبَينَ ما عِندَه، فاختارَ ما عِندَ اللهِ؟! فَكان رَسولُ اللهِ ﷺ ، وكان أَبو بكرٍ أَعْلَمَنا، قال: يا أبا بَكرٍ، لا تَبْكِ، إنَّ أمَنَّ النَّاسِ عليَّ في صُحبتِه ومالِه أبو بَكرٍ، ولو كُنتُ مُتَّخِذًا خَليلًا مِن أمَّتي لَاتَّخذْتُ أَبا بَكرٍ، ولكنْ أُخوَّةُ الإسلامِ ومَودَّتُه، لا يَبقيَنَّ في المَسجدِ بابٌ إلَّا سُدَّ، إلَّا بابَ أبي بَكرٍ"
[متفق عليه]

أقرأ الصحابة وأعلمهم بالقرآن والسنة

وعن ابن عمر أنه سئل : من كان يفتي الناس في زمن رسول الله ﷺ فقال : أبو بكر وعمر ما أعلم غيرهما .

وقال ابن كثير : كان الصديق أقرأ الصحابة ـ أي أعلمهم بالقرآن ـ لأنه ﷺ قدمه إماماً للصلاة بالصحابة مع قوله : " يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله " .

وأخرج الترمذي عن عائشة قال : قال رسول الله ﷺ " لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره " .

لماذا لم يرو عن أبي بكر من الأحاديث المسندة إلا القليل ؟

وكان أبو بكر ليس أعلم الصحابة بالقرآن الكريم فحسب بل أعلمهم بالسنة المطهرة كذلك ، وكان الصحابة يرجعون إليه في مسائل الدين لحفظه لسنن النبي ﷺ التي ليست عندهم وكيف لا يلتمسون السنة المطهرة عند من واظب على صحبة الرسول ﷺ من أول البعثة إلى الوفاة ؟

وهو مع ذلك من أذكى عباد الله وأعقلهم وإنما لم يرو عنه من الأحاديث المسندة إلا القليل لقصر مدته وسرعة وفاته بعد النبي ﷺ وإلا فلو طالت مدته لكثر ذلك عنه ولم يترك الناقلون عنه حديثاً إلا نقلوه ولكن كان الذين في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحد منهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم فحسب .

وكان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي به بينهم قضى به وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله ﷺ فيه قضاء فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا فإن أعياه أن

يجد فيه سنة عن رسول الله ﷺ جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإن أجمع أمرهم على رأي قضى به وكان عمر يفعل ذلك فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء ؟ فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به وإلا دعا رءوس المسلمين فإذا اجتمعوا على أمر قضى به .

وكان الصديق مع ذلك أعلم الناس بأنساب العرب لا سيما قريش وكان غاية في علم تعبير الرؤيا وقد كان يعبر الرؤيا في زمن النبي ﷺ وقد قال محمد بن سيرين :" كان أبو بكر أعبر هذه الأمة بعد النبي ﷺ"

[أخرجه ابن سعد]

الأحاديث الواردة في فضل أبي بكر وحده

وردت كثير من الأحاديث في فضل أبي بكر الصديق نكتفي بذكر أشهرها .

عن عمرو بن العاص قال : قلت يا رسول الله ﷺ أي الناس أحب إليك ؟ قال : " عائشة " قلت من الرجال ؟ قال : " أبوها " قلت : ثم من؟ قال : " ثم عمر بن الخطاب " [متفق عليه]

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي بن كعب ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح " [أحمد والترمذي]

عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان

من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، فقال أبو بكر : ما على من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال : نعم فأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر"

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي " [أبو داود والحاكم]

وعن عبد الله بن مسعود قال : خَطَبَ النَّبيُّ ﷺ فَقال: إنَّ اللهَ خيَّر عَبدًا بينَ الدُّنيا وبَين ما عِندَه، فاخْتار ما عِندَ اللهِ. فَبَكى أبو بكرٍ ، فقُلتُ في نَفسي: ما يُبكي هَذا الشَّيخَ إنْ يَكُنِ اللهُ خيَّر عَبدًا بينَ الدُّنيا وبَينَ ما عِندَه، فاختارَ ما عِندَ اللهِ؟! فَكان رَسولُ اللهِ ﷺ ، وكان أَبو بكرٍ أَعْلَمَنا، قال: يا أبا بَكرٍ، لا تَبْكِ، إنَّ أمَنَّ النَّاسِ عليَّ في صُحبتِه ومالِه أبو بَكرٍ، ولو كُنتُ مُتَّخِذًا خَليلًا مِن أمَّتي لَاتَّخذْتُ أَبا بَكرٍ، ولكنْ أُخوَّةُ الإسلامِ ومَودَّتُه، لا يَبقيَنَّ في المَسجدِ بابٌ إلَّا سُدَّ، إلَّا بابَ أبي بَكرٍ"

[متفق عليه]

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : " كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ فَقَالُوا: لا. فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو

بَكْرٍ: صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا " [صحيح البخاري]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ " [صحيح مسلم].

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر : أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار " [الترمذي]

***